بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ بلال سلمان

خِصال خير البرية

الحَمدُ للهِ الذِي اصطفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبرَاهِيمَ وَآلَ عِمرَانَ عَلَى العَالَمِين، وَاختَارَ مِنهُمُ العَرَب، وَاختَارَ مِنَ العَرَبِ قُرَيشاً، وَاختَارَ مِن قُرَيشٍ بَنِي هَاشِم، وَاختَارَ مِن بَنِي هَاشِمٍ حَبِيبَهُ مُحَمَّداً ﷺ، فَهُوَ صَفوَةُ الْمُصطَفَينَ الأَخيَار، وَنُخبَةُ النُّخَبِ وَخِيَارُ الخِيَار.

فِي ذِكرَى وِلادَةِ سَيِّدِ الوُجُود –سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بنِ عَبدِ اللهِ ﷺ– لا بُدَّ أَن نَتَذَكَّرَ بَعضَ صِفَاتِهِ وَأَخلَاقِهِ وَشَمَائِلِه، كَي نَتَّصِفَ وَنَتَخَلَّقَ بِهَا، فَهُوَ الأُسوَةُ الحَسَنَةُ وَالقُدوَةُ الصَّالِحَة، هُوَ الذِي فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى العَالَمِين، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْمُرسَلِين، هُوَ صَاحِبُ اللِّوَاءِ الْمَعقُودِ وَالحَوضِ الْمَورُود، هُوَ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحمُودِ وَالْمَكَانِ الْمَشهُود، هُوَ صَاحِبُ الكَرَمِ وَالجُودِ وَالوَفَاءِ بِالعُهُود، هُوَ صَاحِبُ الكَرَامَةِ وَالزَّعَامَةِ وَالوَسِيلَةِ وَالفَخَامَة، هُوَ الْمُظَلَّلُ بِالغَمَامَةِ وَالْمَأمُورِ بِالاستِقَامَة، هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ العُظمَى وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَة، هُوَ صَاحِبُ البُرهَانِ وَالسُّلطَانِ وَالإِكرَامِ وَالإِحسَان، هُوَ صَاحِبُ البُرَاقِ وَالْمِعرَاجِ وَالإِسرَاء، هُوَ الذِي سَبَّحَ فِي كَفِّهِ الطَّعَام، وَبَكَى إِلَيهِ الجِذعُ وَحَنَّ لِفِرَاقِه، هُوَ الذِي كَلَّمَهُ الضَّبُّ فِي مَجلِسِهِ أَمَامَ أَصحَابِهِ الكِرَام، هُوَ الذِي شَكَى إِلَيهِ البَعِير، وَتَفَجَّرَ مِن بَينِ أَصَابِعِهِ الْمَاءُ النَّمِير، هُوَ الذِي انشَقَّ لَهُ القَمَر وَحَنَى لَهُ الشَّجَر، هُوَ العُروَةُ الوُثقَى وَالقُدوَةُ الْمُثلَى، هُوَ النَّذِيرُ لِأَهلِ الأَرض وَالشَّفِيعُ يَومَ العَرض، هُوَ صَاحِبُ لِوَاءِ الحَمد وَالْمُشَمِّرُ عَن سَاعِدِ الجِدّ، هُوَ صَاحِبُ الْمُعجِزَاتِ البَاهِرَاتِ وَالْمَكرُمَاتِ الوَاضِحَات، هُوَ الذِي سَلَّمَت عَلَيهِ الأَحجَار وَسَجَدَت لَهُ الأَشجَار، هُوَ الذِي تَفَتَّحَت مِن نُورِهِ الأَزهَار وَطَابَت بِبَرَكَتِهِ الثِّمَار، هُوَ أَكرَمُ مَبعُوثٍ وَأَصدَقِ قَائِلٍ وَأَنجَحِ شَافِع، هُوَ أَفضَلُ الأَنبِيَاءِ دَرَجَةً وَأَكمَلُهُم شَرِيعَة، هُوَ أَشرَفُ النَّاسِ نِصَاباً وَأَبيَنُهُم خِطَاباً، هُوَ أَفضَلُ الخَلقِ مَولِداً وَمُهَاجِراً وَعِشرَةً وَأَصحَاباً، هُوَ أَكرَمُ النَّاسِ رُوحاً وَخُيرُهُم نَفَساً، هُوَ أَطهَرُ البَشَرِ قَلباً وَأَصدَقُهُم قَولاً، هُوَ أَزكَى العِبَادِ فِعلاً وَأَثبَتَهُم أَصلاً، هُوَ أَوفَى الخَلقِ عَهداً وَأَمكَنَهُم مَجداً، هُوَ أَكرَمُ البَشَرِ طَبعاً وَأَحسَنُهُم صُنعاً، هُوَ أَطيَبُ النَّاسِ فَرعاً وَأَكثَرُهُم طَاعَةً وَسَمعاً، هُوَ أَعلَى العِبَادِ مَقَاماً وَأَفصَحُهُم كَلَاماً، هُوَ أَزكَى البَشَرِ سَلَاماً وَأَجَلُّهُم فَخراً، هُوَ أَعظَمُ الخَلقِ قَدراً

وَأَسنَاهُم فَخراً، هُوَ أَوفَى البَشَرِ عَهداً وَأَصدَقُهُم وَعداً، هُوَ أَكثَرُ النَّاسِ شُكراً وَأَعلاَهُم أَمراً، هُوَ أَجمَلُ العِبَادِ صَبراً وَأَحسَنُهُم خَيراً، هُوَ أَقرَبُ البَشَرِ يُسراً وَأَظهَرُهُم سُلطَاناً.

إنه حَبِيبُ رَبِّ العَالَمِين، وَشَهِيدُ الْمُرسَلِينَ وَشَفِيعُ الْمُذنِبِين، وَالبَشِيرُ النَّذِيرُ وَالسِّرَاجُ الْمُنِير، وَالصَّادِقُ الأَمِينُ وَالحَقُّ الْمُبِين، وَالرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ وَالنَّبِيُّ الكَرِيم، وَالهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُستَقِيم، هُوَ النَّاطِقُ بِالصِّدقِ وَالصَّوَاب، الذِي أُوتِيَ الحِكمَةَ وَفَصلَ الخِطَاب، هُوَ الذِي جَاءَ بِالآيَاتِ البَيِّنَات، وَأَيَّدَهُ اللهُ بِجَلاَئِلِ الْمُعجِزَات، هُوَ الذِي سَرَى سِرُّهُ فِي سَائِرِ الكَائِنَات، وَخَصَّهُ اللهُ بِالإِسرَاءِ وَالْمِعرَاج، هُوَ أُستَاذُ كُلِّ أُستَاذ وَمَلاَذُ كُلِّ مَلاَذ، هُوَ مَعدِنُ الأَسرَارِ وَمَظهَرُ الأَنوَار، هُو الذِي تَشَرَّفَت بِهِ أَرضُ الحِجَاز، هُوَ الذِي مَن اتَّبَعَهُ فقد فَاز، هُوَ الذِي لَم يَرضَ بِلِينَ الفِرَاش، هُوَ الذِي كَانَ مِن خُلُقِهِ البَشَاش، هُوَ الذِي أَمَرَ بِالتَّقوَى وَالإِخلاَص، هُوَ صَاحِبُ الْمَدَدِ الفَيَّاض، هُوَ الذِي أَعرَضَ عَمَّا سِوَى اللهِ كُلَّ الإِعرَاض، هُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاط، هُوَ الذِي طَهَّرَ قُلُوبَ النَّاسِ مِنَ الأَمرَاض، هُوَ الذِي أَمَر بِالعَدلِ وَالإِنصَاف، هُوَ الذِي نَهَى عَن التَّفرِيطِ وَالإِفرَاط، هُوَ صَاحِبُ النُّورِ السَّاطِع، هُوَ الذِي تَلَذَّذُ بِحَدِيثِهِ الْمَسَامِع، هُوَ الذِي لِكُلِّ خَيرٍ جَامِع، هُوَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ وَالبَلاَغ، خَيرُ خَلقِ اللهِ عَلَى الإِطلاَق، هُوَ بَطَلُ الأَبطَال، وَمَعدِنُ الجُودِ وَالكَرَمِ وَالنَّوَال.

إِنَّه السَّيِّدُ الهُمَام، أَفضَلُ الرُّسلِ الكِرَام، سَيِّدُ الأَكوَانِ وَإِمَامُ الأَئِمَّةِ الأَعيَان، صَاحِبُ القَدرِ الشَّرِيفِ العَالِي وَالجَاهِ الكَبِيرِ الغَالِي، هُوَ الذِي ما نطق عن الهوى، وما ضل عن الحق وما غوى، هو صاحب المقام الأعلى والسر الأجلى.

أيها المسلمون: نتفيأ اليوم ظلال ذكرى ولادة سيد الوجود مُحَمَّد ﷺ، وليس هُناك أمتعُ للمرء من التحدث عمن يُحِبّ، فكيف والمحبوب هو رسول الله ﷺ، وسيد الأولين والآخرين، فهو مِنَّةُ الله على البَشَرِيَّة، ورحمتُهُ على الإنسانية، ونِعمتُهُ على الأمة الإسلامية، فبالله ثم بمحمد بن عبد الله ﷺ، قامت الشريعةُ وشُيِّدت الدولة، وصُنِعَت الحضارةُ وأُسُّست الملة، وليس هناك أحدٌ من البشر نَالَ من الحُبِّ والتقدير ما ناله المصطفى ﷺ، فباسمه تَلهَجُ مَلايين الألسنة، ولِذِكره تَهْتَزُّ قُلُوبٌ مُؤمنة، ولكنَّ العِبْرَةَ أن يَتَحَوَّلَ هذا الحب إلى مَحْضِ اتباعٍ دقيق، لكل ما جاء به النبي ﷺ، كما قال الحق تبارك وتعالى مُبيناً مِعيَارَ المحبة

الصادقة، فقال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ فهذه وقفاتٌ ومقتطفات مع أهم جوانب السنة العطرة والسيرة المباركة، ذلكم هو جانب الشمائل النبوية والسجايا المحمدية والآداب المصطفوية، بل هي المنظومة المتألفة والكوكبة المتلألئة، والشمس الساطعة والسنا المشرق والمشعل الوضاء، الذي يُبدّد رُكام الظُّلْمِ والظُّلَم، ولئن فات كثيرين رؤيتُه ﷺ بأبصارهم، فإن في تأمُّلِ شمائله لعزاءً وسلواناً، والمطبقون لشمائله وأخلاقه وسنته إن لم يَصحَبوا نفسَه عليه السلام أنفاسَه صحِبوا.

وتأملوا –أيها الإخوة– هديَه وشمائِلَه في جوانب الدين والدنيا بأسرها، تجدوه قد حاز أعلى مراتب الكمال والشرف في كل شيء:

ففي مجال توحيده لربه: صَدَع بالتوحيد، ودعا إلى الله ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة، وهو المنزَّل عليه قول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِين﴾ وإن أول واجب على مُحِبيه أن يُعنَوا بأمر الدعوة إلى توحيد الله التي قامت عليها رسالته عليه السلام.

وفي مَجال عبوديته لربه: قام من الليل حتى تفطرت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول ﷺ: (أفلا أكون عبداً شكوراً).

وفي مَجال الأخلاق: بلغ نهاية الكَمَال، في رقة القلب، وسماحة اليد، وكفِّ الأذى، وبذل الندى، وعفة النفس، واستقامة السيرة، وحسن الخلق، فلقد كان ﷺ دائم البِشر، سَهل الطبع، لَيِّنَ الجانب، ليس بفظ ولا غَليظ، ولا صَخاب في الأسواق، ولا يَدفع السيئة بالسيئة، ولكن يَعفو ويَصفح، وأعظم من ذلك وأبلغ ثناءُ ربه عليه بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم﴾ وبقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لانْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِك﴾ وقد قال أنس رضي الله عنه: (ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألينَ من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أحسنَ من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍ قط، ولا قال لشيء فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَ كذا).

تلك لعمرو الله أعظمُ الخلال والخصال، وأكرمُ الشمائل والفضائل، فسبحان من رَفَعَ قَدره وشرحَ صدره، وأعلى في العالمين ذِكره وشَأنه، فهل الذين يَتَغَنَّون اليوم بسيرته يَقْتَفُون أثره في هَديه وشَمَائِلِه؟.

وإذا نظرنا في معاملاته ﷺ لأصحابه وأهل بيته وزوجاته نَجد أنه قد بَلغ غاية الكمال في قوله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم) وهكذا نَجده في سياسته لدولة الإسلام، وفي عِبَادَتِه لربه، وفي نفقته وبذله، وفي قوته وجهاده، وفي حِرصه على أداء رِسَالَةِ رَبه، وفي تَبليغ دعوة خالقه، وهذا أنموذجٌ على حِكمته في الدعوة، ورِفقه ورحمته بالناس، مُسلمين وغَيرَ مسلمين، لأن الله تعالى قال فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وليس فقط للمسلمين، ومراعاته لحقوق الإنسان، بل ورفقه حتى بالحيوان، في وقت تتغنى فيه الحضارة اليوم بوطء كرامة الإنسان، ورعاية حقوق الحيوان، فيتجلى هذا الأنموذجُ الرائع، في قصة ثمامةَ بن أثال، حينما أُسر ورُبط بسارية المسجد، وهو مشرك وكان سيد قومه، ورسول الله ﷺ يمر به ويقول: (ماذا عندك يا ثمامة ؟) فيقول: عندي خير يا مُحَمَّد، إن تقتلْ تقتلْ ذا دم، وإن تنعمْ تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فيكرمه النبي ﷺ ويرفق به، ويُحسن معاملته ويُطلق سراحه، فانطلق ثمامة فاغتسل ثم دخل المسجد، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، والله يا مُحَمَّد، ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك اليوم أحبَّ الوجوه كلها إليَّ، وما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك اليوم أحبَّ الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك اليوم أحبَّ البلاد كلها إليَّ. ولما قيل للنبي عليه السلام: ألا تدعو على المشركين؟ قال ﷺ: (إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة للعالمين) وقال للمشركين يوم فتح مكة: (ما تظنوني أني فاعلٌ بكم؟) قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ألا فلتتعلم الإنسانية قاطبة والبشرية جمعاء من هذه الصفحات الناصعة، من رحمة السلام ورسول الإسلام عليه السلام، الذي يَجدون ذِكر شمائله في توراة موسى، والذي يَجدون ذِكر خصاله في إنجيل عيسى، وليعلم من يَقفُ وراء الحَملات الْمُغرضة ضد الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام، ما يَتمتع به الإسلام من مكارم

وفضائل ومحاسن وشمائل، ومدى البَوْنِ الشاسع بين عالمية الإسلام السامية وعولمتهم الملفقة المزيفة، التي تُريد إهدار القيم الإنسانية، وإزدراءَ المثل الأخلاقية.

وليس أمام الأمة اليوم في مواجهة الفساد العارم الذي تعيشه إلا العودة إلى دينها وكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ .